بحث رقم٣١

الموقف الاستشراقي من مناهج تفسير القرآن الكريم

د. محمد سعيد السرحاني*

مقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد:

كان جل اهتمام المستشرقين في دراستهم للإسلام دراسة القرآن الكريم وكل ما يتعلق به بقصد الطعن فيه والتشكيك في مصداقيته، وكان ميدان التفسير من المجالات التي كتب فيها المستشرقون كتابات نقدية، تركزت تلك الدراسات على الطعن في كتب ومناهج التفسير بالمأثور من كتب أهل السنة مقابل تمجيد الاتجاهات المنحرفة في التفسير كتفسير الفرق المنتسبة للإسلام زاعمين اكتشاف مناهج جديدة في تفسير القرآن الكريم لم يصل إليها علماء السلف من قبلهم وسار على نهجهم عدد من مدعي العلم والفكر من المسلمين ممن نادوا بقراءة جديدة للقرآن الكريم وتأويلات حديثة لكتاب الله تتوافق – على حد زعمهم – مع مقتضيات العصر ومسايرة المناهج الحديثة للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

وقد جاوزت هذه الفئة المستشرقين في طعنهم في كتاب الله تعالى، ونقدهم لمناهج سلف الأمة في تفسير كتاب الله تعالى، وسيتركز بحثي بإذن الله على بيان الموقف الاستشراقي ونقده مع الإشارة العابرة لأسماء وكتب من تأثر بهم من المعاصرين من المسلمين وكونت أود التفصيل في هذه الجزئية الهامة ولكن شرط اختصار الأبحاث في هذا المؤتمر حال دون إضافة فصل خاص

* أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية. فاكس: ٠٢٥٥٨٣٨٨٨ البريد الإلكتروني: FLAG25@HOTMIL.COM

بهذا الموضوع ولعله يكون موطن بحث آخر ـــ بإذن الله تعالى ـــ.

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد وفصلين وخاتمة على النحو الآتي:

التمهيد: نبذة عن مراحل تفسير القرآن الكريم وتاريخ الحركة الاستشراقية:

الفصل الأول: الاهتمامات الاستشراقية بالدراسات القرآنية.

الفصل الثاني: الموقف الاستشراقي من التفسير ونقده

الخاتمة: وتشمل أبرز النتائج والتوصيات.

سائلاً المولى عز وجل أن يلهمنا الصواب وأن يجنبنا الزلل وأن يرد كيد الطاعنين في كتاب الله تعالى في نحورهم.

التمهيد

نبذة عن مراحل تفسير القرآن الكريم وتاريخ الحركة الاستشراقية:

أولاً: مراحل تفسير القرآن الكريم:

مر تفسير القرآن الكريم بمراحل عدة منذ عهد الرسالة في زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وجاءت السنة النبوية مفسرة لما أبهم ومفصلة لما أجمل في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: ٤٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ يتناول هذا وهذا »[١].

ويقول الشيخ ابن عثيمين في شرحه لكلام شيخ الإسلام: «وكذلك قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة: ١٩]، يتضمن هذا وهذا؛ أي: بيان لفظه وبيان معناه»[٢].

وكان حرص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على فهم كتاب الله تعالى أنهم إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل[٣].

ولقد كان فهم الصحابة لمعاني القرآن الكريم فهماً ميسراً وجلياً لم يشبه الغموض؛ وذلك لمعايشتهم لأسباب النزول، ولإيمانهم وتصديقهم لآيات الله تعالى، وعدم خوضهم أو سؤالهم عن المتشابه في القرآن الكريم، وكان هذا هو حال الصحابة رضوان الله عليهم، والصدر الأول

---

١ **مقدمة في أصول التفسير**، ص٣٥.

٢ **شرح مقدمة التفسير**، ص٢٢.

٣ ينظر: **مقدمة في أصول التفسير**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٣٦.

من عهد التابعين رحمهم الله أجمعين.

وإن كان اهتمام الصحابة والتراع بينهم في التفسير أقل ممن جاء بعدهم؛ فلأن القرآن نزل بلغتهم التي سلمت من الدخيل، وكانوا أفهم الناس لمعانيه؛ ولقلة الأهواء فيهم وسلامة قصدهم[1].

ولكن بعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، ودخول أناس في الإسلام من غير العرب، وكثرت الأهواء والفتن، كانت الحاجة إلى علم التفسير ملحة، لبيان ما أبهم على من لم يتزل القرآن بلغتهم.

إن قولنا بعدم انشغال الصحابة رضوان الله عليهم بالتفسير للأسباب السابق ذكرها لا ينفي وجود عدد منهم رضوان الله عليهم اشتهروا بتفسير كتاب الله، فقد اشتهر منهم ما يقارب العشرة كان من أبرزهم الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، وحبر الأمة وعالمها ومفسرها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير رضوان الله عليهم جميعاً[2].

وتتلمذ على يد هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً طائفة كبيرة من التابعين، وكان أشهر المدارس التفسيرية في هذه الفترة:

تلاميذ مدرسة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في مكة المكرمة.

ومدرسة أبي بن كعب ﷺ في المدينة المنورة.

وتلاميذ مدرسة عبدالله بن مسعود ﷺ في الكوفة.

وظل التفسير في هذه المرحلة محتفظاً بطابع التلقي والتثبت في النقل والرواية، ولكن بعد كثرة دخول أهل الكتاب في الإسلام، وبروز التراع بين الفرق المنتسبة للإسلام في عهد التابعين بدأت ما يسمى بظاهرة الروايات الإسرائيلية تدخل في التفسير، مع دخول التأويلات المنحرفة في كتب الفرق المنتسبة للإسلام مناصرة لعقائدها الباطلة.

ولم يكن التفسير مستقلاً عن الحديث في التدوين إذ كان باباً من الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، وكانت بدايات انفصال التفسير عن الحديث في التصنيف على أيدي طائفة من

---

١ **شرح مقدمة التفسير**، ص٢٦.

٢ **التفسير والمفسرون**، محمد حسين الذهبي، ١/٤٤.

العلماء منهم ابن ماجه المتوفى ٢٧٣هـ، وابن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة ٣١٨هـ، وغيرهم من أئمة هذا الشأن[١].

ويُعد كتاب الطبري رحمه الله في التفسير من أشهر كتب التفسير بالمأثور وكان من منهجه رحمه الله ذكر الروايات بالإسناد ليسهل على من أراد التثبت من تلك الروايات تمحيصها وتطبيق منهج المحدثين في نقدها.

ثم انتقل التفسير بعد ابن جرير الطبري رحمه الله إلى مرحلة جديدة اختصر فيها المفسرون أسانيد روايات التفسير مما أضعفت من القدرة على تمحيص ونقد تلك الروايات.

ثم ظهر بعد ذلك ما يسمى بالتفسير بالرأي المذموم لتأييد المذاهب المنحرفة، والتعصب المذهبي كتفاسير الشيعة، والخوارج، والصوفية، والمعتزلة، وغيرها وهذه التفاسير هي التي عني بها المستشرقون كثيراً وعملوا على الإعلاء من شأنها نتعرف على موقفهم من التفسير في هذا البحث بإذن الله تعالى.

ثانياً: تاريخ الحركة الاستشراقية

الاستشراق تعريب للكلمة الإنجليزية Orientalism مأخوذ من الاتجاه إلى الشرق.

وكلمة الاستشراق مشتقة من (شرق)، "يقال شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت"[٢]، وهي تعني مشرق الشمس وترمز إلى مجال الاهتمام بهذا الحيز المكاني من الكون وهو الشرق.

واصطلاحاً: اتجاه فكري يُعنى بدراسة الإسلام والمسلمين ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى.

نشأة الاستشراق وتطوره:

اختلف الكُتَّاب من مسلمين وغير مسلمين حول تحديد نشأة الاستشراق وذُكر في ذلك أقوال عدة، ومنها: من الباحثين من يحدد نشأة الاستشراق بظهور الإسلام وما وقع من جدل وحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، ومحاولات اليهود والنصارى التشكيك في عقيدة المسلمين وفي معجزات الرسول ﷺ[٣].

---

١ محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ١/٩٧ – ٩٨.

٢ **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦٠م، ١/٤٨٢.

٣ محمد حسيني أبو سعدة، **الاستشراق والفلسفة الإسلامية**، ط١، ١٩٩٥م، ص٣٥.

وترسخ هذا الجدل بما كتبه "يوحنا الدمشقي" – في بداية القرن الثاني الهجري – من رسائل لمحاورة المسلمين ونصرة إخوانه من النصارى في تلك الفترة[١].

ومنهم من يحدد نشأة الاستشراق بالفتح الإسلامي للأندلس في بداية القرن الثامن الميلادي إذ شهدت جامعات أشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، إقبالاً كبيراً من الأوربيين لدراسة الحضارة الإسلامية وخصوصاً مع ازدهار حركة ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوربية في تلك الفترة[٢].

أما من حدد القرن العاشر الميلادي بداية للاستشراق فأرجعوا ذلك إلى تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها وتزايد الاهتمام بحركة الترجمة وكان من أبرز من اهتم بهذا الاتجاه الراهب الفرنسي "سلفستر الثاني" الذي درس في الأندلس ثم تقلد منصب البابوية عام ٩٩٩م، وأوصى بفتح المدارس وبترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية[٣].

ويحدِّدُ المستشرق الألماني "رودي بارت" القرن الثاني عشر الميلادي البداية الفعلية للاستشراق مع ظهور أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم بتوصية من "بطرس" الملقب بالمحترم الذي زار الأندلس وأوصى بإصدار أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية عام ١١٤٣م[٤].

وتعتبر الحروب الصليبية مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي من البدايات القوية لظهور حركة الاستشراق[٥].

ويحدد عدد من الباحثين البداية العلمية لظهور حركة الاستشراق بانعقاد مجمع "فيينا" عام١٣١٢م والذي أوصى بإنشاء كراسي اللغة العربية في جامعات "أكسفورد" و"كامبردج" و"بولونيا" و"روما" و"السربون"[٦].

ويُعَدُ القرنان التاسع عشر والعشرين عصري الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية، إذ

---

١ ينظر: السيد أحمد فرج، **الاستشراق**: (**الذرائع – النشأة – المحتوى**)، دار طويق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٤٨.

٢ ينظر: أحمد سمايلوفتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، مرجع سابق، ص٦٧.

٣ ينظر: العقيقي، **المستشرقون**، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١/١١٠.

٤ نظر: **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص١١.

٥ ينظر: محمد عبد الله الشرقاوي، **الاستشراق**، ص٢٧.

٦ ينظر: إدوارد سعيد، **الاستشراق**، مرجع سابق، ص٨٠.

ظهرت في هذين القرنين الجمعيات الاستشراقية التي نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات الاستشراقية، وشهد القرن التاسع عشر بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين إذ عقد أول مؤتمر دولي عام ١٨٧٣م[١].

مع اختلاف الكتاب من المسلمين والمستشرقين في تحديد البدايات الأولى لحركة الاستشراق إلا أن الرأي الذي نذهب إليه أن الاستشراق بدأ مع ظهور الإسلام – وإن لم يحمل هذا المسمى في ذلك الوقت – وازداد في الظهور والانتشار عبر العصور حتى يومنا هذا مع تنامي الهجمات الغربية الاستشراقية والتشويه المتعمد للدين الإسلامي عبر وسائل الإعلام المختلفة في هذا العصر.

الفصل الأول: الاهتمامات الاستشراقية بالدراسات القرآنية

تنوعت الاهتمامات الاستشراقية بالدراسات الإسلامية عامة وبالدراسات القرآنية والتفسير بصفة خاصة، واتخذت مسارات عدة يأتي في مقدمتها:

جهود المستشرقين في حفظ وتصنيف المخطوطات الإسلامية، وقد ذكر فؤاد سزكين عدداً من المخطوطات المتعلقة بعلوم القرآن والتفسير المحفوظة في المكتبات الأوروبية[٢].

ومن الاهتمامات والجهود الاستشراقية المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه، جهود المستشرقين في تحقيق ونشر كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم كتحقيق:

أسرار التأويل وأنوار التنزيل للبيضاوي، تحقيق المستشرق الألماني "فرايتاج".

والكشاف للزمخشري، تحقيق المستشرق الإنجليزي "ناسوليز".

والإتقان للسيوطي، نشر المستشرق النمساوي "شبرنجر".

و لم تخل أهدافهم في معظم تحقيقهم للكتب الإسلامية من الأهداف المشبوهة بتركيزهم على الكتب الشاذة في مجالها كتحقيق المستشرق الألماني "برجشتراسر" لكتاب: القراءات الشاذة في القرآن لابن خالويه، وكتحقيق كتاب المصاحف لابن أبي داود، وإبراز الروايات الشاذة في كتاب الإتقان للسيوطي[٣].

---

١ ينظر: محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص٥٠.

٢ ينظر: **تاريخ التراث العربي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نقلاً عن: بسام داود عجك، **التراث الإسلامي والاستشراق**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، العدد السابع، ١٩٩٠م، ص١٩٩ – ٢٠٠.

٣ ينظر: محمد عوني عبدالرؤوف، **جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة**، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م، ط١، القاهرة، ص٣٤٩ – ٣٦٦. وعبد الله الصديق، **الإحسان في تعقب الإتقان**، دار الأنصار، القاهرة.

وقد بين عدد من المؤلفين الأهداف المشبوهة للمستشرقين في تحقيق ونشر الكتب الإسلامية[١].

وأما في مجال المؤلفات الاستشراقية في علوم القرآن الكريم فنذكر الكتب والأبحاث الآتية:

(التطور التاريخي للقرآن)، إدوارد سيل، مدراس، الهند، ١٨٩٨م.

(مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن) للمستشرق الألماني جوستاف فايل.

(تاريخ القرآن) للمستشرق الفرنسي "بوتيه".

(تاريخ النص القرآني)، للمستشرق الألماني نولدكه [٢].

و(تاريخ القرآن) للمستشرق الفرنسي "ريجس بلاشير".

و(تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني براجشترسر [٣].

(القرآن)، فلهاوزن ، مقال بالمجلة الشرقية الألمانية عام ١٩١٣م.

ومن الأبحاث والمؤلفات الاستشراقية في مجال التفسير:

بحث المستشرق الألماني "فيشر" بعنوان: (تفسير القرآن)[٤].

وبحث "لريتشارد هارتمان" الألماني بعنوان: (تفسير القرآن)[٥].

و(القرآن مفسراً) للمستشرق الإنجليزي "آربري"[٦].

وبحوث جديدة في نظم القرآن وتفسيره للمستشرق الإنجليزي "هوشفيلد"[٧].

ومن اهتمامهم بكتب وتفاسير الفرق المنحرفة ومؤلفاتهم في هذا الجانب:

كتاب (شرح المعتزلة للقرآن) للمستشرق الإيطالي "جويدي"[٨]،

---

١ ينظر: عبد العظيم الديب، **المستشرقون والتراث**، مكتبة ابن تيمية، المحرق، البحرين، ط١، ١٤٠٦– ١٩٨٦م، ص٢٦.
وينظر: عبد الستار الحلوجي، **جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي**، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٦، ١٣٩٦/١٩٧٦م، ص٧٢٨– ٧٣٠، ومالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، طبعة الرشاد، بيروت، ١٩٦٩م. وعائشة عبدالرحمن، **تراثنا بين ماض وحاضر**، دار المعارف، مصر.

٢ ينظر: رودي بارت، **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، مرجع سابق، القاهرة، ص٢٦.

٣ المرجع نفسه، ص٤٠.

٤ العقيقي، **المستشرقون**، ٥٣٥/٣.

٥ المرجع نفسه، ٥٣٦/٣.

٦ المرجع نفسه، ٥٣٤/٣.

٧ عمر إبراهيم رضوان، آراء **المستشرقين حول القرآن**، ٢٢١/٢.

٨ العقيقي، **المستشرقون**، ٥٣١/٣.

و(القرآن في نظر الإسماعيليين) للمستشرق الروسي "سيمينوف"[١]،

و(تفسير القرآن واللغة الصوفية) للراهب اليسوعي "نويا"[٢].

ويبقى الأكثر شيوعاً في هذا المجال كتاب: مذاهب التفسير الإسلامي للمستشرق المجري جولد تسهير[٣].

وللمستشرق الفرنسي "هنري كوربان" عناية خاصة بتفسير الفرق الباطنية.

والمتتبع لإنتاج المستشرقين في هذا المجال يجدهم يُعلون من شأن التفسير الشاذ الخاص بالفرق المنتسبة للإسلام[٤].

ولا يخفى تمجيدهم للاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن الكريم ومن ذلك كتاب المستشرق الفرنسي "جاك جو ميبه"، (الاتجاه الحديث لتفسير القرآن بمصر)[٥].

وكتاب المستشرق الهولندي "يانش" (تفسير القرآن في مصر الحديثة)[٦].

ومن الكتب والأبحاث المتعلقة بالقصص القرآني:

والتي تركز – على حد زعمهم – على الطعن في ربانية كتاب الله تعالى وترديد مزاعمهم بالأثر اليهودي في القصص القرآني، من تلك الكتب:

(مصادر القصص الإسلامية في القرآن) و(قصص الأنبياء)، لسايدر سكاي، باريس، ١٩٣٢م.

و(القصص الكتابي في القرآن)، لسباير جريفنا، ١٩٣٩م.

(قصة أهل الكهف)، عام ١٩٠٧م[٧].

و(قصص القرآن)، للمستشرق المجري بيرنات هيللر (١٨٥٧ – ١٩٤٣م)، مجلة عالم الإسلام، ١٩٩٤م[٨].

---

١ المرجع نفسه، ٥٣٨/٣.

٢ المرجع نفسه، ٥٤٠/٣.

٣ ينظر: رودي بارت، **الدراسات العربية**، مرجع سابق، ص٣٠.

٤ ينظر: عبدالرزاق هرماس، **تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين**، مجلة البحوث الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، العدد ٦٧، ص١١١، ١١٢.

٥ عمر إبراهيم رضوان، **آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**، ٢٢٠/٢.

٦ العقيقي، **المستشرقون**، ٥٣٨/٣.

٧ ينظر: محمد حسين علي الصغير، **المستشرقون والدراسات القرآنية**، ص٧٤ – ٧٥.

٨ المرجع نفسه، ص٧٥.

ونجد مؤلفات المستشرقين في هذا المجال منثورة في المعاجم والكتب المهتمة بحصر التراث العربي والإسلامي[١].

وهناك كتابات وأبحاث بفقه اللغة العربية، منها كتاب: (الكلمات الأجنبية في القرآن) للمستشرق الألماني "فرانكيل".

وكَتَب المستشرق الألماني "كارل بيكر"، (قواعد لغة القرآن في دراسات) نولدكة في مجلة الإسلام عام ١٩١٠م.

ولمارجليوث بحث بعنوان: (نصوص القرآن) في مجلة العالم الإسلامي ١٩٢٥م.

وتحت عنوان (القرآن)، وردت عدة أبحاث وكتب لعدد من المستشرقين منهم: فلهاوزن، وياكوب بارت، وكاله، وآرثر جفري، ويبقى الأكثر شيوعاً كتاب: المستشرق الفرنسي بلاشير: (القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره)[٢].

ومن المؤلفات الاستشراقية في التفسير وعلوم القرآن ما يظهر فيه الطعن وإثارة الشبهات والتشكيك في مصداقية كتاب الله تعالى من عناوين تلك الأبحاث والكتب ومنها على سبيل المثال:

(النصرانية واليهودية في القرآن) للمستشرق الألماني "بومشتارك"[٣].

(توافق القرآن والإنجيل) للمستشرق الفرنسي "بوستل"[٤].

و(الكلمات الأجنبية في القرآن) للمستشرق الألماني "فرانكلين"[٥].

و(التطور التاريخي للقرآن) للمستشرق الإنجليزي "سل"[٦].

و(عناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية) للمستشرق المجري "هيللر"[٧].

و(التوراة في القرآن) للمستشرق الألماني "فايل"[٨].

---

١ ينظر: عبد الجبار عبدالرحمن، **ذخائر التراث العربي الإسلامي**، وصلاح الدين المنجد، **معجم المخطوطات العربية**، وكارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**.

٢ ينظر: محمد حسين علي الصغير، **المستشرقون والدراسات القرآنية**، مرجع سابق، ص ١١٦ – ١١٧.

٣ عمر إبراهيم رضوان، **آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**، ٢/٢٣١.

٤ العقيقي، **المستشرقون**، ٣/٥٣٢.

٥ عمر إبراهيم رضوان، **آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**، ٢/٢٢٨.

٦ العقيقي، **المستشرقون**، ٣/٥٣٤.

٧ عمر إبراهيم رضوان، **آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**، ٢/٢٢٦.

٨ العقيقي، **المستشرقون**، ٣/٥٣٥.

و(عناصر نصرانية في القرآن) للمستشرق "آرنس"[١].

و(الإسرائيليات في القرآن) للمستشرق الأمريكي "فنكل"[٢].

و(الأسماء والأعلام اليهودية في القرآن) للمستشرق الألماني "هوروفيتش"[٣].

و(طابع الإنجيل في القرآن) للمستشرق "وولكر"[٤].

ومن الدراسات الاستشراقية الحديثة للقرآن الكريم وتفسيره دراسات كل من: أندرو روبن، وهاوتنغ، وستيفن ويلد[٥].

ولا ننسى دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها المستشرقون وماتحمله من مواد استشراقية للطعن في كتاب الله تعالى، والتي صدرت بعدة لغات في طبعتها الأولى عام ١٩١٤م، وفي طبعتها الثانية عام ١٩٥٤م[٦].

وتبقى الموسوعة الاستشراقية الأشمل والأخطر ذات الخمس مجلدات موسوعة القرآن الكريم عن "بريل" والتي صدر منها جزءان من الأجزاء الخمسة المشتملة على ألف مدخل كدراسة نقدية استشراقية للقرآن وعلومه كُتبت بأيد استشراقية واستكتب فيها عدد من العرب والمسلمين المتأثرين بالأفكار الاستشراقية كمحمد أركون الذي كتب مقدمتها.

وللمستشرقين اهتمام بترجمة معاني القرآن الكريم، فكانت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر بدعم من الراهب "بطرس المبجل"[٧].

ومن تلك الترجمات الاستشراقية الأب ماراتشي ١٦٩٨م، ثم تلتها ترجمة المستشرق الألماني "جوستاف فلوجيل" إلى اللغة اللاتينية[٨].

ومن أشهر الترجمات الإنجليزية ترجمة: "جورج سيل" عام ١٧٣٤م، وترجمة "آربري" ١٩٥٥م، و"بالمر" عام ١٨٨٠م، و"بل" ١٩٣٩م[٩].

---

١ عمر إبراهيم رضوان، آراء **المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**، ٢٢٥/٢.

٢ **المستشرقون**، العقيقي، ٥٣٩/٣.

٣ عمر إبراهيم رضوان، آراء **المستشرقين حول القرآن وتفسيره**، ٢٢٠/٢.

٤ المرجع نفسه، ٢٢٥/٢.

٥ المرجع نفسه، ص٣٧٣.

٦ ينظر: رودي بارت، مرجع سابق، ص٣٨.

٧ ينظر: المرجع نفسه، ص٩. رودي بارت.

٨ ينظر: ساسي سالم الحاج، **الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية**، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، ١٩٩١م، ٣١١/١.

٩ ينظر: محمد خليفة، **الاستشراق والقرآن العظيم**، ترجمة: مروان عبدالصبور شاهين، دار الاعتصام، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، القاهرة، ص١٢٠ – ١٢٢.

ومن الترجمات الشهيرة إلى اللغة الألمانية ترجمة "رودي بارت"، وأبرز الترجمات إلى الفرنسية "كازيميرسكي" ١٨٣٢م، و"مونتيه" ١٩٢٩م، و"بلاشير" ١٩٤٧م[١].

وقد حملت تلك الترجمات أخطاءً لغوية، وطعوناً وشبهاتٍ استشراقيةً أشار إليها عدد ممن حصر ترجمات المستشرقين لمعاني القرآن الكريم[٢].

وفي مجال المعاجم يبقى الأبرز هو: المعجم المفهرس للقرآن الكريم للمستشرق الألماني جوستاف فلوجل ١٨٠٢ – ١٨٧٠م، سماه: نجوم الفرقان في أطراف القرآن، اعتمد عليه محمد فؤاد عبدالباقي في معجمه المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

وفي نفس المجال يبرز عمل المستشرق الفرنسي "جول لابوم" في كتابه: "تفصيل آيات القرآن الكريم"[٣]، مع ما في هذين العملين من أخطاء لغوية ومنهجية[٤].

وظهر من تتبع ذلك النتاج العلمي الاستشراقي في مجال الدراسات القرآنية – وخصوصاً التفسير – إبراز المستشرقين الكتب المنحرفة من كتب الفرق: الباطنية والمعتزلة، مع تمجيد طريقتهم في التفسير، واعتبار تلك التفاسير هي التفاسير الأمثل وأهلها أصحاب العقل الحر، مع ذمهم وانتقاصهم لكتب التفاسير بالمأثور من كتب السلف رحمهم الله، وهذا يظهر جلياً من خلال عنوانات تلك الكتب أو من خلال تتبع ما كتبه المستشرقون في ثنايا كتبهم، ويبرز ذلك بجلاء فيما كتبه "جولد زيهر" في كتابه: (مذاهب التفسير الإسلامي) من تمجيد لكتب الفرق المنحرفة كالباطنية والمتصوفة، والشيعة، والمعتزلة، وثنائه على الظواهر المنحرفة في حركة التفسير العصرية المنحرفة.

ومن صور الاهتمامات الاستشراقية الحديثة بالقرآن الكريم المؤتمرات المتوالية حول دراسة القرآن الكريم وتفسيره ومن تلك المؤتمرات:

---

١ ينظر: ساسي سالم الحاج، **الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية**، مرجع سابق، ٣١٢/١.

٢ ينظر: محمد صالح البنداق، **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٨٩. ومحمد خليفة، **الاستشراق والقرآن العظيم**، مرجع سابق، ص١٢٤ – ١٤٦، وزينب عبد العزيز، **ترجمات القرآن إلى أين: وجهان لجاك بيرك**، دار الهداية للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، وفيليب حتي، **الإسلام منهج حياة**، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، ص٧٨.

٣ ينظر: محمد عوني عبدالرؤوف، **جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة**، مرجع سابق، ص٣٥٥.

٤ ينظر: عبدالستار الحلوجي، **جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي**، مرجع سابق، ص٧٢٨ – ٧٣٠.

مؤتمر جامعة بون في نوفمبر ١٩٩٣م والذي جمعت أعماله في كتاب: (القرآن كنص) الصادر عن بريل ١٩٩٦م.

ومنها: مؤتمر الدراسات القرآنية على أبواب القرن الواحد والعشرين في جامعة لايدن في عام ١٩٩٨م.

ثم تلاه مؤتمر: القرآن نص وتفسير، والذي عقد في جامعة لندن في أكتوبر عام ١٩٩٩م[١].

الفصل الثاني: الموقف الاستشراقي من التفسير ونقده

ونستطيع تفصيل موقف المستشرقين من التفسير في النقاط التالية:

دعوى معارضة الصحابة تفسير القرآن الكريم:

يعمم جولد زيهر في حكمه على موقف الصحابة رضوان الله عليهم وأول عصر التابعين من معارضة التفسير فيقول: "ولدينا شواهد من القرن الثاني الهجري تدل على أن الاشتغال بالتفسير كان ينظر إليه بعين الريبة وأن الرأي إزاء هذا العمل كان مصحوباً بالمقاومة له والفزع منه"[٢].

إن القول بأن الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً كانوا يمتنعون عن تفسير آيات من القرآن الكريم لا يفهم منه معارضتهم للتفسير، وإنما الثابت امتناعهم رضوان الله عليهم من القول في كتاب الله بلا علم.

إن ما اشتهر عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم من الامتناع عن تفسير بعض الآيات كقول أبي بكر ﷺ: "أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم» [٣].

إنما يحمل على اقتناعهم عن القول في كتاب الله تعالى بالرأي المجرد من غير دليل وبرهان والتفسير بغير علم وهذا يوافق نهي النبي ﷺ في قوله: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[٤].

١ ينظر: بحث **موسوعة القرآن الكريم**، حسن عبود، مجلة الاجتهاد العددان (٥٧، ٥٨) عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٧١.

٢ **مذاهب التفسير**، ص٥٣.

٣ **تفسير الطبري**، ٧٨/١، وابن كثير، ٥/١.

٤ **مسند أحمد**، ٢٦٩/١.

أمَّا تفسير كتاب الله تعالى المبني على علم ودليل فقد قال به أبو بكر وعمر وكبار الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً وقد دعا النبي ﷺ لابن عباس في هذا الخصوص في قوله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» [1].

وأما تفسير القرآن الكريم بمجرد الرأي ممن لم يكن أهلاً لذلك أو تفسير القرآن بالهوى لنصرة مذهب باطل، كتأويلات أهل الفرق المنحرفة لتأييد باطلهم فهذا هو التفسير المذموم، والذي ورد النهي عنه، والذي كان الصحابة رضوان الله عليهم يحترزون منه.

الطعن في التفسير بالمأثور وتمجيد التفاسير المنحرفة:

يمجد جولد زيهر التفسير بالرأي وأهله مقابل التفسير بالمأثور[2].

ويشنع بلاشير على أهل السنة في موقفهم من التفسير الرمزي لدى الصوفية فيقول: "أما موقف المذهب السني من التفسير الرمزي الذي يمجده المتصوفون فقد كان على العكس متصلباً[3].

وامتداداً لما درج عليه جولد زيهر من إعلاء لتفاسير المبتدعة وتقديم تلك الكتب على أنها الأنموذج الأمثل لتفسير القرآن الكريم نجده يمتدح المعتزلة وانحرافاتهم في التفسير وردهم للأحاديث الصحيحة فيقول: "والواقع أن المعتزلة يسلكون طريقهم الخاص في دائرة التفسير المتصل بالعقائد فهم لم يبالوا هنا أن يزيلوا من طريقهم ركاماً كبيراً من التصورات الشعبية، والآراء المروية، التي لا تتفق مع تصورهم المستنير للألوهية"[4].

ويعتمد جولد زيهر إلى إبراز الخصومات والاختلافات بين المعتزلة وأهل السنة ويجعل المعتزلة في صف واحد مع أهل السنة ويعلي من شأن المعتزلة في خصوماتهم لأهل السنة ويمجدهم وصولاً لانتقاص أهل السنة والجماعة[5].

ويطعن عدد من المستشرقين أمثال كارديفو، ولا مانس، وجولد تسيهر في التفسير بالمأثور وذلك بالتشكيك في الأحاديث التي يستشهد بها المفسرون[6].

---

١ **مسند أحمد**، ٢٦٦/١.

٢ المرجع السابق، ص١٢١ – ١٢٣.

٣ المرجع السابق، ص١٢١.

٤ جولد زيهر، **مذاهب التفسير الإسلامي**، ص١٣٥.

٥ المرجع نفسه، ص١٢٥.

٦ **دائرة المعارف الإسلامية**، ٣٤٧/٥.

التشكيك في القراءات طريق إلى الطعن في التفسير:

يدعي جولد زيهر أن تعدد القراءات فتح الباب على مصراعيه لتعدد أوجه التفسير[١] وهذا ما يوافقه فيه عدد من المستشرقين الطاعنين في كتاب الله تعالى أمثال نولدكة[٢]، وبلاشير[٣].

ويمكن الرد على هذه المزاعم من وجوه:

١- خفي عن المستشرقين الحكمة من تعدد القراءات والتي منها إرادة التخفيف والتيسير على هذه الأمة مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥]، فالعرب كانت لهم عدة لهجات ينطقون بها فمن أجل التخفيف على القبائل العربية ومن أجل جمعهم على تلاوة القرآن بما تطاوعه ألسنتهم من لهجاتهم أنزل الله القرآن على وجوه من الأداء.

٢- ذكر السيوطي أن القراءات بالزيادة التي وجدت في بعض مصاحف الصحابة مثل سعد ابن أبي وقاص "وله أخ أو أخت من أم".

وقراءة ابن عباس "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربِّكم في موسم الحج" وقراءة ابن الزبير "ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويستعينون بالله على ما صبروا"

ومثل "وإن منكم إلا واردها - الورود يعني الدخول —"

فهذه قراءات تفسيرية فخلط البعض فأدخلها في القرآن وهى الملامح الأولى لعلم التفسير[٤].

٣- وبالتتبع والاستقرار تبين أن اختلاف القراءات العشر التي نزل بها القرن الكريم إنما هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض وأن الاختلاف والتنوع لا يخلو عن ثلاثة أحوال.

أ- "اختلاف اللفظ دون المعنى ومثال ذلك الاختلاف في كلمة "الصراط" في سورة الفاتحة فقد قرئت بالسين والصاد.

ب- "اختلاف في اللفظ والمعنى معاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد مثال القراءات

---

١ **مذاهب التفسير الإسلامي**، ص٤.

٢ **تاريخ القرآن**، ٩١/٢.

٣ **القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره**، ص١٠٧.

٤ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ٢١٧/١.

الواردة في قوله تعالى"مالك يوم الدين"."وملك يوم الدين"[1].

فقد قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف البزار "مالك" بإثبات ألف بعد ميم وقرأ الباقون من العشرة "مَلك" على أنه صفة مشبهة وهو مالك وملك أي متصرف.

ج- "اختلاف اللفظ والمعنى معاً من ذلك قوله تعالى "لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر" الإسراء"١٠٢".

قرأ الكسائي "لقد علمتُ" بضم التاء مسنداً إلى ضمير المتكلم وهو نبي الله موسى عليه السلام.

وقرأ الباقون "لقد علمتَ" مسنداً إلى ضمير المخاطب وهو فرعون.

ثم إن المسلمين قد رووا ما أخذه أصحاب رسول الله من القرآن الكريم ونبغ بعد ذلك من القراء المتقنين.

٤- فنحن نثبت أن ما يسمى بالقراءات العشر إنما هي روايات صحيحة ثابتة متواترة مروية عن الرسول ﷺ بالنقل المتواتر تلقاها أصحاب رسول الله عن الرسول عليه الصلاة والسلام والرسول عن جبريل عليه السلام فكل ما جاء فيها فهو من القرآن قطعاً.

التشكيك في عدالة ابن عباس ﷺ:

ولقد كان أكثر هجوم المستشرقين على ابن عباس رضي الله عنهما طعناً في عدالته ومن ذلك ما جاء من مزاعم في كتاب جولد زيهر إذ يدعي قائلاً: "وكثيراً ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام "كعب الأحبار" و"عبد الله بن سلام"[2].

ويطعن عدد من المستشرقين في ابن عباس رضي الله عنهما، إذ يدعي "كايتاني" "وجولد زيهر" تأثره بأهل الكتاب في تفسيره وإيراده للإسرائيليات عن طريق كعب الأحبار وعبدالله بن سلام[3].

وقد وجه عدد من المستشرقين الطعن في التفسير بالتشكيك في صحة مرويات التفسير من الأحاديث الصحيحة التي اعتمدها أصحاب التفسير بالمأثور من علماء السلف فمما قاله

١ المصدر نفسه، ٢١٣/١.

٢ **مذاهب التفسير الإسلامي**، ص٨٨.

٣ **مذاهب التفسير الإسلامي**، ص٦٦ – ٦٨.

المستشرق "كارديفو" في دائرة المعارف الإسلامية: "وعلم التفسير قديم قد يرجع تاريخه إلى صدر الإسلام، ويروى أن ابن عباس ت ٦٨هـ كان حجة في التفسير، وقد نسبوا إليه تفسيراً، وتساءل النقاد المحدثون (جولد زيهر ولامانس وغيرهما) عن قيمة الأحاديث الواردة في هذه الكتب الجامعة، و لم يصلوا بعد إلى رأي يعززها كثيراً والظاهر أن أغلب هذه الأحاديث موضوع إما لتقرير مسألة شرعية وإما لأغراض كلامية، وإما لمجرد التوضيح، بل قد يكون لمحض اللهو والتسلية".

وللرد على هذه المزاعم نبين جانباً من فضله ومكانته العلمية ﷺ، فقد كان ملازماً للرسول ﷺ لقرابته منه، وبعد وفاة النبي ﷺ لازم كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث رسول الله ﷺ، وكان على معرفة تامة بلغات العرب وآدابها، آتاه الله العلم والفقه والتأويل، ظفر بدعوة النبي ﷺ له عندما قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[١].

وقد اجتمع فيه ﷺ عدد من المزايا أهلته لأن يكون من كبار علماء الأمة ومفسرها الأول حبر الأمة الإمام البحر، عالم العصر[٢]، فعن عبد الله بن مسعود قال: "نعم ترجمان القرآن ابن عباس"[٣]، تميز بذكاء المعنى،وقريحة وقّادة، وإيمان راسخ، وقلب عقول، ولسان سؤول ﷺ وعن أبيه [٤].

حتى أطلق عليه لقب ترجمان القرآن.

التشكيك في صحة مرويات التفسير:

ومن دعاوى المستشرقين ودعواتهم القيام بدراسات نقدية لأمهات التفاسير بالمأثور فهذا المستشرق "جيلوت" يشكك في صحة روايات الأحاديث في تفسير الطبري فيقول: "ولجوء المفسر إلى هذا النوع من الخطاب الذي يعتمد على إسناد الحديث يكشف لنا مختلف الإسقاطات التي وقعت في كتب التفسير، حيث كانت الرغبة متجهة لتكريس مرويات بعض الصحابة الذين خصتهم كتب التراث بسيرة أسطورية مثل ابن عم محمد [ﷺ] عبدالله بن عباس، على أن هذا النوع من الدراسة يتطلب منا أن نطرح من جديد السؤال عن العلاقة بين ما هو

١ **مسند الإمام أحمد**، ٢٦٦/١.

٢ **تذكرة الحفاظ**، للإمام الذهبي، ٤٠/١.

٣ عمر إبراهيم رضوان، آراء **المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**، ٧١٥/٢.

٤ **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري، حديث رقم (٦٢٩١)، ٦١٨/٣.

واقعي حقيقي وما كان من إبداع المخيلة، كما سبق أن طرح ذلك في مجال دراسة المجتمعات البدائية (الأنثربولوجيا) والتاريخ الوسيط والقديم بالغرب"[١].

ولا شك أن هذا النقد يقصد به الطعن في عدالة الصحابة رواة الحديث ولا يقصد منه النقد الهادف لتمحيص الثابت من غير الثابت من هذه الروايات إذ لو كان كذلك لوافق منهج المحدثين في التثبت من الروايات.

وهذا النقد لا يطال الاتجاهات المنحرفة في التفسير والتي سلمت من نقد المستشرقين ونالت مكانة متميزة لديهم.

الطعن في تفسير الإمام الطبري رحمه الله:

ويشكك جولد زيهر في قيمة تفسير الطبري عندما يبالغ في ذكر ما ورد فيه من إسرائيليات دون ذكر لمنهج الطبري في عرض الروايات[٢].

ومن صور تهجم المستشرقين على كتب التفسير بالمأثور بحث المستشرق "كليمان هوار" بعنوان: (وهب بن منبه والتراث اليهودي النصراني باليمن)، خلص فيه إلى توجيه الطعن في كتاب (جامع البيان) لابن جرير الطبري بزعمه كثرة الروايات الإسرائيلية في هذا التفسير[٣].

ويصرح بذلك في بحثه فيقول: "إن مقاطع كثيرة من الطبري... مرتبطة بمثلها في سفر التكوين الذي يعرض للروايات اليهودية والنصرانية وكان وهب بن منبه هو الطريق الذي انتقلت بواسطته هذه الآثار في نهاية القرن الأول الهجري"[٤].

ويعمم الكثير من المستشرقين في حكمهم على كتب التفسير ويبالغون في دعواهم وجود الإسرائيليات في كتب التفسير دون التفريق بين تفسير وآخر، وكأن كتب التفسير بأكملها لم تسلم من ذلك التأثير[٥].

إن دخول بعض الروايات الإسرائيلية في عدد من كتب التفسير أتاح للمستشرقين المجال للطعن في مصداقية كتب التفسير بالمأثور ووجدوا فيها ما يشبع أهواءهم ويرضي تعصبهم

١ نقلاً عن: عبد الرزاق هرماس، **تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين**، ص١٣٩.

٢ **التفسير الإسلامي**، ص٨٧ – ٨٨.

٣ عبد الرزاق هرماس، **تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين**، ص١٢٣.

٤ بحث: **وهب بن منبه**، نقلاً عن المرجع السابق، ص١٣١.

٥ بلاشير، **القرآن نزوله، وتدوينه**، ص١١٥.

الممقوت ويوافق توجهاتهم العدائية للإسلام، فما حقيقة وجود هذه الإسرائيليات؟ وكيف دخلت إلى مجال التفسير؟ وما حجمها في كتب التفسير؟

دخلت الروايات الإسرائيلية إلى كتب التفسير عن طريق مُسلِمَة أهل الكتاب في عهد التابعين، وقد وقف علماء الأمة منها موقف النقد والتمحيص والتدقيق، فما عارض كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تم رده ومعارضته، وأما ما علم صحته ووافق ما في شريعتنا فلا حرج في روايته مع أن ما في شريعتنا غنية عنه، وأما ما لم يعارض ولم يوافق ما في شريعتنا فالموقف منه موقف الحذر، ولا يصح أن يبنى عليه حكم شرعي، ويصدق في هذا النوع حديث النبي ﷺ: «... لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»[1].

وقد وقف علماء الأمة موقف النقد والتمحيص لهذه الروايات حتى وإن وردت في بعض كتب التفسير، ولم تكن تمثل عقبة أمام علماء الأمة في بيانها وإنما قد تنطلي على قليلي العلم ومن لا يعلمون أصول نقد الروايات أمثال المستشرقين.

وكان من أبرز المرويات التي وقعت فيها الإسرائيليات في مجال القصص القرآني فيما توسعت بهم كتبهم دون القرآن وذلك لأخذ العبرة والاعتبار، ولم تكن تلك الروايات في مجال العقيدة أو تشريع الأحكام وإنما في إطار ما أباح النبي ﷺ في قوله: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[2].

وأما في مجال العقيدة والتشريع فقد جاء النهي عن الرواية عنهم في ذلك لكمال شريعة الإسلام وتمامها في تنزيه الله سبحانه وتعالى وعصمة أنبيائه قال ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»[3].

وقد اهتم عدد من العلماء المتقدمين والمتأخرين بتنقيح كتب التفسير من الإسرائيليات والدخيل وظهرت كتب ودراسات علمية لبيان تلك الروايات والحذر منها[4] مع أنها لا تنطلي على العلماء والمتخصصين في هذا العلم.

---

١ **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، ٥/١٥٠.

٢ **صحيح البخاري**، كتاب الأنبياء، ٤/١٤٥.

٣ **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ٨/١٦٠.

٤ ينظر على سبيل المثال: محمد محمد أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ورمزي نعناعة، **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير**، ومحمد حسين الذهبي، **الإسرائيليات في التفسير والحديث**.

الدعوة إلى منهجية حديثة في التفسير:

ومن دعاوى ودعوات المستشرقين إعادة تفسير القرآن الكريم اعتماداً على ما يصطلح عليه بالعلوم الإنسانية المعاصرة في الغرب والاستفادة من مناهج تلك العلوم في إعادة تفسير القرآن الكريم وخاصة مناهج الأنثربولوجيا ومنهجية علم اجتماع المعرفة وهذا ما يؤيده المستشرق "جاليوت" بقوله: "إن تطور الدراسات القرآنية في الغرب أواسط القرن العشرين قد حدث تحت تأثير التقدم الملحوظ في تفسير الكتاب (المقدس) وتأثير النظريات الأدبية، إن أثر العلوم الإنسانية وبخاصة علم دراسة المجتمعات البدائية (الأنثربولوجيا) وعلم تاريخ الأديان "بدأ ذلك الأثر يظهر في مجال تفسير القرآن بالغرب مثال البحث عن دور الشعارات والرموز الدينية ودور الوجدان الديني ودور الأساطير المرتبطة بالدين"[1].

وإذا كان المستشرقون ومن تابعهم قد رددوا في أكثر من موطن من كتاباتهم الدعوة إلى استخدام منهج الأنثربولوجيا، وخصوصاً الأنثربولوجيا الدينية في دراسة القرآن الكريم وتفسيره، فما حقيقة هذا العلم؟

نظرية الأنثربولوجيا الدينية تتلخص في أن الإنسان منذ القدم قد استرعت انتباهه بعض الظواهر مثل الأحلام والرؤى والمرض واليقظة والنوم والموت، فكانت تلك العقائد والطقوس الصورة الأولى للأديان – كما يزعمون –[2].

والأنثربولوجيا موضوع بحثها: أساطير الجماعات البشرية باعتبار أن الإنسان (البدائي) كما يسمونه اعتنق ديانات بدائية أقرب إلى السحر والأساطير متمايون في زعمهم بأن تلك أولى الصور الدينية التي عرفها الإنسان.

وقد سعى عدد من المستشرقين ومن تابعهم إلى إسقاط هذا المنهج على مجال الدراسات القرآنية وخصوصاً قصص الأنبياء، وتاريخ الأقوام السابقين الذين ورد الحديث عنهم في القرآن الكريم[3].

ومن العلوم الإنسانية التي تردد الدعوة إلى استخدامها منهجية علم اجتماع المعرفة، فما أصول هذه المنهجية، وماحقيقتها؟

---

١ نقلاً عن: عبد الرزاق هرماس، **تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين**، ص١٤٠ – ١٤١.

٢ ينظر: عاطف وصفي، **الأنثربولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية**، بيروت، ط٣، ١٩٨١م، ص٣٠.

٣ ينظر: عبدالرزاق هرماس، **تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين**، مرجع سابق، ص١٤٨.

ترجع البدايات الأولى لعلم اجتماع المعرفة إلى النظرية المادية التاريخية عند ماركس وتحليله للمعرفة وتفسيره للتاريخ وكشفه عن طبيعة الأيدلوجيات والحقائق السائدة في المجتمعات[١].

وقد عَرَّفَتهُ دائرة معارف العلوم الاجتماعية بأنه: "فرع من علم الاجتماع يهتم بدراسة العلاقة بين الفكر والمجتمع ويهتم أيضاً بدراسة الظروف الاجتماعية أو الوجودية للمعرفة"[٢].

وبإيجاز يدرس علم اجتماع المعرفة طرق تأثير الظروف الاجتماعية في المنتجات الذهنية أو المعرفة، وفي حقيقته يُعنى علم اجتماع المعرفة بدراسة الظواهر الاجتماعية المؤثرة في نشوء الأفكار وتطورها، وحقيقته الإدعاء بأن المجتمع هو أساس كل الظواهر الدينية والمعرفة وأن المجتمع يتأثر ويؤثر في معطيات تلك المعرفة.

وبهذا المفهوم لا يعدو الدين – على حد زعمهم – إلا حادثاً اجتماعياً، فهذه المنهجية تنكر الغيب ومصدر الوحي، إذ الدين في زعمهم انبثق من المجتمع نفسه[٣].

ومن أبرز عيوب هذه المنهجية الاجتماعية أنها تنطلق من نظرة مادية تنكر فيها الحقائق الغيبية، بحجة أنها لا تدخل في الحقائق المشاهدة، ووصف الحقائق الغيبية بأنها أساطير، كما ورد في كتابات أتباع هذه المدرسة عن القرآن الكريم.

وينظر مستخدمو هذه المنهجية للأديان كحقائق اجتماعية نبعت من المجتمع نفسه مع إنكارهم للغيب[٤].

وإتماماً لنقدنا لمنهجية المستشرقين ومن تابعهم في تبني منهجيات العلوم الاجتماعية والإنسانية يشير نبيل السمالوطي إلى أزمة المفاهيم في علم الاجتماع فيقول: "يعاني علم الاجتماع من أزمات في تحديد المفاهيم والفهم والتفسير والتحليل، فقد ظهرت اتجاهات متصارعة منها الاتجاهات الوضعية والوظيفية، والاتجاهات الراديكالية، والنقدية، والفينومينولوجية"[٥].

---

١ ينظر: طه نجم، **علم اجتماع المعرفة**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٢.

٢ المرجع نفسه، ص١٦، وينظر كذلك: نبيل رمزي، **علم اجتماع المعرفة**، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.

٣ ينظر: نبيل السمالوطي، **التوجيه الإسلامي وصراع المنطلقات والنظريات في علم الاجتماع، دراسة نقدية في علم اجتماع المعرفة**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٣.

٤ ينظر: محجوب كردي، **منهجية علم الاجتماع المعرفي في كتابات بعض المستشرقين عن العقيدة الإسلامية**، ضمن كتاب: **دراسات استشراقية وحضارية، مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية**، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٦٥.

٥ **التوجيه الإسلامي وصراع المنطلقات والنظريات في علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص٢٥، وينظر: علاء مصطفى أنور، **أزمة المنهج في العلوم الإنسانية**، مرجع سابق.

وهذا ما ينطبق على سائر منهجيات العلوم الإنسانية والاجتماعية التي اعتمدها المستشرقون ومن تابعهم في دراسة القرآن الكريم وتفسيره.

ظهور مدرسة حديثة متأثرة بالاستشراق:

ظهر عدد من أتباع المستشرقين ممن ينتسبون للإسلام يرددون مزاعم المستشرقين في كتاب الله تعالى وتفسيره ومن أبرز أصحاب هذا الاتجاه:

- محمد أحمد خلف الله في كتابه: الفن القصصي في القرآن.
- ومحمد شحرور في كتابه: "الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة".
- وصادق جلال العظم في كتابه: "نقد الفكر الديني".
- ومحمد أركون في كتبه: الفكر الإسلامي قراءة علمية، والفكر الإسلامي نقد واجتهاد، والفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، وتاريخية الفكر العربي الإسلامي، والقرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.
- والطيب تيزيني في كتابه: "النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة".
- وعابد الجابري في كتابه: "التراث والحداثة".
- ومترجم كتب محمد أركون: هاشم صالح في: "تعليقاته وتحشيته على كتب أركون".
- وفي عدد من مؤلفات علي حرب كـــ"نقد النص"، و"نقد الحقيقة".
- وفي مجموعة من مؤلفات: نصر حامد أبو زيد، مثل: "الخطاب والتأويل"، و"مفهوم النص". ونقد الخطاب الديني.
- وأدونيس في كتابه: "الثابت والمتحول".
- وتركي علي الربيعو في كتابه: "الإسلام وملحمة الخلق الأسطورة".
- ورشيد الخيون في كتابه: "جدل التنزيل".
- وتلميذ محمد أركون: رمضان بن رمضان في كتابه: "خصائص التعامل مع التراث".
- وعبدالهادي عبدالرحمن في كتابه: "سلطة النص".
- وأمين الخولي في مادة (تفسير) في دائرة المعارف (الإسلامية).
- وحسن حنفي في: دراسات إسلامية، ومفهوم النص. وقراءة النص.
- والصادق النيهوم، في كتابه (الإسلام في الأسر).

- والعشماوي، في (جوهر الإسلام).
- ومحمد محمود طه، في (الرسالة الثانية).
- والشرفي ، في (الإسلام بين السياسة والتاريخ).
- وسيد القمني، في (الأسطورة والتراث).
- وأنور خلوف، في (القرآن بين التفسير والتأويل والمنطق العقلي)

وأكتفي بالإشارة إلى أبرز هؤلاء المتأثرين بالفكر الاستشراقي دون التفصيل في مواقفهم التزاماً بضوابط النشر في هذا المؤتمر والخاصة بحجم البحث وعدد الصفحات ، ولا شك بأن أصحاب هذه المدرسة فاقوا المستشرقين حقداً على الإسلام وأهله ، ولعل الله ييسر فرصة أخرى لتعرية موقفهم ونقده.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل عملي هذا وسائر أعمالي وأقوالي خالصة لوجهه، وأن ينفع الله بهذا البحث وأن ينفعني به في دنياي وآخرتي وأن يحقق لي به ما تصبو إليه نفسي وتسمو إليه همتي، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

الخاتمة وأبرز النتائج:

وبعد هذه الجولة في كشف شبهات المستشرقين في كتاب الله تعالى وتفسيره نأتي إلى ذكر أبرز النتائج في هذه الخاتمة:

١- لم تتسم أبحاث المستشرقين في مجال التفسير بالعمق العلمي بل غلب عليها السطحية والجهل بأصول البحث في أصول التفسير، وظهر فيها أثر خلفياتهم العدائية للإسلام.

٢- يصور المستشرقون الفرق المنحرفة والخارجين عن الإسلام المثل الأعلى للإسلام وينسبون آراءهم الضالة إلى الإسلام.

٣- تصوير الخلافات في التفسير بين الفرق خلافاً واضطراباً في الشريعة الإسلامية بل اضطراباً وتناقضاً في القرآن نفسه ـــ على حد زعمهم ـــ.

٤- الاحتفاء بالدعاوى الباطلة والأقوال المنحرفة.

٥- بدأت الدراسات الاستشراقية الحديثة تدعو إلى دراسة القرآن الكريم دراسة أدبية يطبق في

ذلك مناهج النقد الأدبي في دراسة القرآن الكريم دون الالتفات إلى قداسة كتاب الله تعالى.

٦- سار أصحاب المدرسة الاستشراقية المتأثرة بالاستشراق على نهج أسلافهم من المستشرقين إلى الدعوة إلى إخضاع تفسير القرآن الكريم لمناهج التحليل في العلوم الإنسانية.

٧- إذا كان عِداء المستشرقين واضحاً وجلياً في مواقفهم من الإسلام، فإن خطورة من سار على نهجهم من تلامذتهم ممن ينتسبون للإسلام أشد خطراً وأكثر أثراً.

وبعد، فهذا ما يسره الله لي وأعانني عليه، فالحمد لله أولاً وآخراً، ولعلي أكون قد أديت جزءاً من واجبي في المنافحة عن هذا الدين ورد كيد الطاعنين في كتاب الله تعالى ، وقد بينت بعض الأخطاء المنهجية التي وقع فيها المستشرقون وأتباعهم في موقفهم من القرآن وتفسيره. (وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين)

فهرس المصادر والمراجع

١- إبراهيم رضوان، **آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره**، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢- ابن حزم، أبو محمد علي بن محمد، **إحكام الأحكام في أصول الأحكام**، دار السعادة، مصر.

٣- ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٤- أحمد سمايلوفتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، دار المعارف، القاهرة.

٥- بسام داود عجك، **التراث الإسلامي والاستشراق**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، العدد السابع، ١٩٩٠م

٦- بلاشير، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

٧- التهامي نقرة، **سيكولوجية القصة**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤م.

٨- جولد تسهير، **مذاهب التفسير الإسلامي**، ترجمة: علي حسن عبدالقادر، مطبعة العلوم، القاهرة، ط١، ١٩٤٤م.

٩- الحاكم، محمد عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا.

١٠-الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١-رودي بارت، **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، ترجمة: د. مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

١٢- ساسي سالم الحاج، **الظاهرة الاستشراقية**، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، ١٩٩١م.

١٣-السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٤-الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق:محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٥-عبدالرزاق هرماس، **تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين**، مجلة البحوث الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، العدد ٦٧.

١٦-عبد الرزاق هرماس، **مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الرابعة عشر، العدد الثامن والثلاثون، ربيع الآخر١٤٢٠هـ، أغسطس١٩٩٩م.

١٧-عبد الستار الحلوجي، **جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي**، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٦، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

١٨-عبد العظيم الديب، **المستشرقون والتراث**، مكتبة ابن تيمية، المحرق، البحرين، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٩-علاء الدين مصطفى أنور، **أزمة المنهج في العلوم الإنسانية**، مجلة المسلم المعاصر، عدد (٥٥ – ٥٦) السنة الرابعة عشر، ١٩٩٠م.

٢٠-محمد بن صالح العثيمين، **شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية**، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٢١-محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٣٩٦هـ.

٢٢-محمد حسين علي الصغير، **المستشرقون والدراسات القرآنية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٣- نبيل رمزي، **علم اجتماع المعرفة، المدخل والمنظورات**، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط١، ١٩٩١م.

٢٤- نجيب العقيقي، **المستشرقون**، دار المعارف، القاهرة، ط٤.